ما ينشر في هذه الصفحة لايعبر بالضرورة عن رأي الصحيفة

الحزنُ مؤجّل ولا وداع

رمزي عبد الخالق

لم نستوعب الخبر بعد يا حاج. هو خبر ثقيل علينا كثيراً، لكن لا يمكننا مخالفة مشيئة اللّه، ولا حول ولا قوة إلا باللّه...

نكتب ثم نمحو ثم نكتب من جديد لعلّ وعسى نستطيع التعبير عن الحدّ الأدنى مما هو في العقل والقلب والوجدان تجاهك أيها العزيز الغالي، ومعك صحبك ورفاق دربك حتى الشهادة، الأصدقاء والأخوة الأعزاء الشهداء محمود الشرقاوي وموسى حيدر وهلال ترمس وحسين رمضان.

شهيدنا الحبيب... نحن نعرف بعضنا منذ زمن، وأعرف جيداً صلابتك وشجاعتك وإيمانك، لكن بعد استشهاد الأمين العام لحزب اللّه سماحة الشهيد الأقدس والأغلى السيد حسن نصر اللّه ظهر لي جانب آخر من شخصيتك، رأيتُ فيك الاستشهادي محمد عفيف، وهذا ما أجمع عليه كلّ الزملاء الذين شاركوا في اللقاءات الأخيرة لنا معك.

التقينا في ٣٠ أيلول الماضي، بعد ثلاثة أيام على استشهاد السيد، كنا مجموعة من الصحافيين والإعلاميين في اللقاء الإعلامي الوطني، بَكَينا معاً، وحاولنا سوياً التصبّر على الفاجعة التي ألمّت بنا جميعاً، واتفقنا على أنّنا سنؤجل الحزن ونستمرّ في مسيرتنا مهما كلفنا الأمر من تضحيات، وهذا كان مضمون توجيهك الأول لنا بعد شهادة السيد، لكن كلمتك الأولى كانت: «لا طيّب اللّه لنا عيشاً من بعدك يا سيد»...

وأذكُر أنك حين دخلت علينا في تلك الجلسة، وبعد السلام الحار ومصافحة جميع الموجودين كما هي عادتك دائماً، لفتَ نظر بعضنا أنك ما زلت تحمل هاتفك بيدك، ووضعته أمامك على الطاولة، رغم كلّ ما حصل من جرائم واغتيالات في الأيام العشرة التي سبقت لقاءنا، وأمام إلحاحنا عليك بضرورة التخلص من هذا الجاسوس كما وصفه السيد الشهيد قبل أشهر، كان جوابك حاسماً بأنّ وظيفتك هي التواصل الدائم مع الإعلاميين والصحافيين، اللبنانيين والعرب والأجانب، وأحياناً مع الوزراء والنواب والسياسيين والأحزاب، وأنك سوف تواصل القيام بمهامك على أكمل وجه...

وتنفيذاً لذلك الكلام أخذتَ الإعلام المحلي والعربي والأجنبي إلى جولة في الضاحية الجنوبية (٢ تشرين الأول) وأوصلتَ بالصوت والصورة والكلمة إلى العالم أجمع حقيقة واضحة هي أنّ ما يقصفه العدو الصهيوني في الضاحية ليس إلا مباني ومنشآت ومؤسسات مدنية، ومستوصفات ومستشفيات ومدارس ومؤسسات اقتصادية وأماكن عبادة... وليس هناك أيّ مستودع أسلحة على الإطلاق، ولا حتى مستودع شفرات.

هذا الأمر لم يعجب العدو فكان الردّ على هدف مدني أيضاً وذلك بتدمير المبنى الذي يضمّ مكتبك في حي معوّض ـ مكتب العلاقات الإعلامية، الذي يعرفه الجميع ويزوره الجميع، وهو كان هدفاً لإحدى مُسيّرات العدو قبل سنوات، في دليل على أنّك كنتَ دائماً في مرمى الاستهداف.

بعد الجولة بعشرة أيام عقد الحاج محمد مؤتمراً صحافياً على طريق مطار بيروت الدولي (١١ تشرين الأول) فوق ركام المباني التي دمّرَتْها غارات العدو الهمجي البربري، وعرض لواقع الميدان الذي يتجلّى فيه رجال اللّه ويحققون الإنجاز تلو الإنجاز، وأعلن جملة مواقف سياسية، أبرزها عبارته الشهيرة: «بكير بكير بكير كثير الاستثمار في الحرب»، موجّهاً النصيحة للبعض في الداخل بأن لا يكرّروا أخطاء الماضي وينجرّوا خلف أوهام ورهانات لن تتحقق على الإطلاق.

ثم كان حضوره الوارف في الوقفة الإعلامية التي نظمها اللقاء الإعلامي الوطني في ساحة الشهداء (١٤ تشرين الأول) تحت عنوان «إعلاميون ضدّ العدوان الصهيوني»، وشارك فيها عدد كبير من الصحافيين والإعلاميين، وأكدت الكلمات على أنّ المقاومة منتصرة، وهي منتصرة بالفعل مع الرجال الأساطير في الجنوب ومع أمثال الحاج محمد الذين أجزلوا العطاء في سبيل هذا الانتصار الكبير...

وفي ٢٢ تشرين الأول عقد الحاج محمد مؤتمراً صحافياً في روضة الحوراء زينب في الغبيري، بين نسائم المسك التي تفوح من أضرحة الشهداء، ومنهم الشهداء القادة الذين ترافق معهم ومع السيد الشهيد العظيم طوال أربعة عقود ونيّف منذ بدايات التأسيس الأولى.

في ذلك المؤتمر أعلن الحاج محمد بكلّ وضوح وجرأة وصراحة أنّ «المقاومة الإسلامية تؤكد مسؤوليتها الكاملة والتامة والحصرية عن عملية قيساريا واستهداف مجرم الحرب

وزعيم الفاشية الصهيونية نتنياهو»، مضيفاً «انّ عيون مجاهدي المقاومة ترى وآذانهم تسمع فإنْ لم تصل إليك أيدينا في المرة السابقة فإنّ بيننا وبينك الأيام والليالي والميدان».

وقبل انتهاء المؤتمر الصحافي أعلن الناطق بإسم جيش العدو الصهيوني (السيّئ الذكر أدرعي ما غيره) أنّ أحد الأبنية المجاورة لروضة الحوراء زينب سوف يتمّ استهدافه، لكن الحاج محمد أصرّ على استكمال المؤتمر حتى النهاية، وحين سئل عن التهديد أجاب بجملته الشهيرة المُسجلة والتي يتناقلها الإعلام اليوم بعد استشهاده: «نحن الذين لم يخِفنا القصف لن تخيفنا التهديدات».

في ٣١ تشرين الأول أراد الاجتماع معنا كلقاء إعلامي وطني للتباحث في طريقة إحياء ذكرى أربعين سماحة السيد الشهيد حسن نصر اللّه، وقد طُرحت أفكار عدة منها تنظيم وقفة في مكان الاستشهاد في حارة حريك تشارك فيها الأحزاب الوطنية والفصائل الفلسطينية وتجمع العلماء المسلمين وتغطيها وسائل الإعلام على اختلافها، لكن الحاج محمد فضّل عدم تعريض كلّ هؤلاء الناس للخطر، لأنّ العدو لا ينفكّ ينفذ غاراته الوحشية على الضاحية الجنوبية، فذهب إلى خيار أن يعقد هو نفسه مؤتمراً صحافياً في مجمع سيد الشهداء حيث كان السيد الشهيد يجمع الجماهير في معظم المناسبات الوطنية والدينية ويخطب بهم عبر الشاشة لترتفع القبضات ولتصدح الحناجر بالهتافات «لبيك يا نصر اللّه» و«هيهات منا الذلة»...

وبالفعل عقد الحاج محمد مؤتمراً صحافياً (١١ تشرين الثاني) واستظلّ منبر السيد الشهيد ليعلن المواقف الحاسمة، لا سيما التأكيد مجدّداً بأنّ الكلمة الفصل هي للميدان، و«أنّ المجاهدين الأبطال هم الذين يحدّدون بقتالهم وصمودهم مصير المقاومة ولبنان بل مصير الشرق الأوسط برمّته».

وما دام الحديث هو عن أبطال الميدان، يجدر التذكير بأنّ العلاقات الإعلامية، وفي مناسبة عيد المقاومة والتحرير في أيار ٢٠٢٢، نظمت لنا الحاج محمد «رحلة» إلى معسكر عرمتى، حيث أتيحت الفرصة لنحو ١٠٠ صحافي وإعلامي يمثلون مؤسسات محلية وعربية وأجنبية، للمشاهدة بأمّ العين كيف يُكتب مجد لبنان على أيدي ثلة من أبناء هذا الوطن الأبطال لكي يبقى عزيزاً وكريماً...

ما رأيناه يومها من مناورة عسكرية وعرض ميداني حي لعمالقة فرقة الرضوان بقيادة الشهيد ابراهيم عقيل والشهيد أحمد وهبي وبرعاية وحضور سماحة السيد الشهيد هاشم صفي الدين، هو ما يتمّ تنفيذه اليوم بشكل فعلي في المواجهات الدائرة ضدّ جيش العدو الصهيوني على امتداد الحدود اللبنانية الفلسطينية.

يمكن أن نستمرّ في الحديث إلى ما لا نهاية، لأنّ مسيرة الحاج محمد عفيف في رحاب المقاومة استمرّت لأكثر من أربعين عاماً، وهو من جيل المؤسّسين كما كان يسمّيهم سماحة السيد الشهيد، وكان يتمتع بقدرات كثيرة وكبيرة وبنى شبكة علاقات إعلامية واسعة جداً فيها الكثير من الصداقات والأخوة مع الأقربين، والكثير من الاحترام والتقدير مع الخصوم، إلا أولئك الذين باعوا أنفسهم للشياطين لأنّ عالمنا اليوم شياطينه على مدّ العين والنظر...

لذلك قد يكون من الصعب أن يحلّ شخص واحد محلّ الحاج محمد عفيف، ربما يتطلب الأمر تكوين فريق عمل، لكي يتولوا تنفيذ المهام التي كان يضطلع بها لوحده حتى قيل فيه عن حقّ إنه كان بذاته جبهة أو فيلقاً أو كتيبة إعلام، خاصة خلال الأيام الأخيرة من ٢٧ أيلول إلى ١٧ تشرين الثاني.

ختاماً يا شهيدنا الحبيب... لن نقول وداعاً، لأنك باقٍ دائماً مع كلّ فرد منا، ومعنا كمجموعة في اللقاء الإعلامي الوطني نعمل برعايتك وبوحي توجيهاتك، متآخين ومؤتلفي القلوب والعقول والوجدان، تماماً كما أردتَ، وهذا ما تعاهدنا عليه بالأمس ومعنا أشقاؤك الأعزاء أمام جثمانك الطاهر الذي ضمّه تراب صيدا إلى جانب والدك الجليل العلامة الشيخ عفيف النابلسي...

في بيتنا من يتبنّى فهم العدو للقرار ١٧٠١!

ابراهيم الامين

في لبنان جمهور وقوى وشخصيات يريدون إنهاء الصراع مع إسرائيل، ويطالبون بتطبيق كل القرارات الدولية التي تهدف إلى أمر واحد: تجريد المقاومة من سلاحها!

بهدوء، كما يطالب كثيرون، وبعيداً عن الموقف من إسرائيل الذي ترون فيه لغة خشبية، فلنذهب معكم في رحلتكم. لكن، اسمحوا لنا أن نقرأ أحوالكم كما هي في حقيقة الأمر، أو كما نفهمها نحن.

بينكم فئة موجودة داخل مؤسسات الدولة كافة، وهي ليست صغيرة بالمناسبة. ولتسهيل النقاش، سنطلق على هذه الفئة اسم: رجال إنفاذ القانون.

وهناك فئة ثانية تضمّ أحزاباً وشخصيات أكثر صراحة في التعبير عن رغبتها بالوصول إلى السلطة بكل مؤسساتها، لكنها تغلّف ذلك بالدبلوماسية، فتقول إن على لبنان العودة إلى «حضن الشرعية الدولية»، وعدم إغضاب الولايات المتحدة، والالتزام بكل ما يطلبه «المجتمع الدولي»، بما في ذلك التوقف عن مهاجمة إسرائيل، وقطع العلاقات مع كل أعداء أميركا، والتقيّد بالقرارات الدولية. ويمكن أن نطلق على هؤلاء اسم «رجال الشرعية الدولية».

أما الفئة الثالثة، فهي الأكثر صراحة في التعبير عن كل ما يريده الأميركيون والأوروبيون وعرب النفط والغاز. وهي تقول إنها تريد نزعاً كاملاً لسلاح المقاومة وإقفال ملف الصراع مع إسرائيل، وتريد من الجيش اللبناني أن يستعين بالقوات الدولية، وبقوات متعددة الجنسيات إن لزم الأمر، للقيام بهذه المهمة على كل الأراضي اللبنانية وليس في منطقة عمل القرار ١٧٠١، كما تريد تنفيذ ما يصدر عن الحكومة الأميركية من عقوبات بحق أشخاص أو مؤسسات أو جهات. لكنها فئة تريد من كل العالم تولّي تنفيذ المهمة، وسنطلق على هذه الفئة اسم «الكسالى البلهاء».

وحتى لا نتوسّع في النقاش، تعالوا ننظر في أحوال القرار ١٧٠١ الذي تريد الفئات الثلاث تطبيقه، الآن وفوراً. فهؤلاء يعتبرون أن المقاومة منعت تطبيق القرار طوال ١٨ عاماً، ويعتبرون، عن سابق تصوّر وتصميم، أن عدم التزام لبنان بالقرار يبرّر لإسرائيل إيجاد طرقها الخاصة لضمان أمنها.

لكن كيف ننفّذ القرار ١٧٠١؟ بحسب الفئات الثلاث، سبب العدوان الإسرائيلي هو عدم التزام لبنان بالقرار. وبالتالي، علينا القيام بالأمر على نحو صحيح. وبما أن هؤلاء لا يريدون إغضاب المجتمع الدولي ولا إغضاب إسرائيل، فقد وجدوا الحل بأن نسأل إسرائيل والمجتمع الدولي عن الطريقة الأنسب لتطبيق القرار، وبعدها يكون علينا التزام ما يريده هؤلاء. القرار ١٧٠١، كما أقرّته الأمم المتحدة، ينص على أن على القوات الدولية المنتشرة جنوب نهر الليطاني مساعدة الحكومة اللبنانية في بسط سلطتها بواسطة الجيش اللبناني، الذي يُفترض أن ينشر قوات كبيرة في كل المنطقة، ويمنع وجود أي سلاح أو مسلحين لا يخضعون لإمرته... لكن، كيف يكون القرار الرسمي الذي يحدّد مهمة قوات الجيش قبل إرسالها إلى الانتشار جنوباً؟ وما هي المساعدة التي نريدها من القوات الدولية لتطبيق القرار ١٧٠١؟ هنا بيت القصيد، وهنا النقطة العالقة التي قد تفجّر المفاوضات الجارية الآن عبر الموفد الأميركي عاموس هوكشتين، إذ تطل الفئات اللبنانية الثلاث برأسها، معلنة أن فهمها لهذه المهمة مطابق تماماً لفهم الولايات المتحدة وإسرائيل والقوات الدولية لكيفية تطبيق القرار ١٧٠١. وكل هؤلاء يريدون نزع السلاح من أيدي المقاومين في الجنوب، ويريدون من الجيش تنفيذ كل ما من شأنه ضمان منع وجود أي سلاح في البيوت أو المزارع أو الوديان في كل المنطقة. وبالتالي، يقول هؤلاء إن الحكومة اللبنانية ستحدّد مهمة الجيش بضمان أمن إسرائيل، وبالقوة متى لزم الأمر.

لكنّ أيّاً من هذه الفئات، كما الولايات المتحدة والقوات الدولية، ليست في وارد الطلب من الجيش اللبناني أن يتصدّى للخروقات الإسرائيلية. وهم أصلاً لن يعطوه السلاح المناسب لمنع العدو من خرق القرار. بل كل ما يمكنه القيام به هو التوجه إلى لجنة الرقابة لتقديم الشكوى، وليس عليه انتظار أي جواب.

والفئات اللبنانية الثلاث تعرف أن إسرائيل لن تعمل بالطريقة نفسها، وأن جيش الاحتلال لن يكتفي بتسجيل شكوى لدى لجنة الرقابة وانتظار تحقيقاتها، بل يريد أخذ الأمور بيده. وهذا ما جعل إسرائيل تطلب صراحة، في المحادثات مع الأميركيين، ثم في مشروع الاتفاق، أن يكون «لها الحق في الدفاع عن نفسها»، ومعالجة الخرق بنفسها، من دون اعتراض أحد في لبنان أو خارجه. وهذه هي حقيقة ما يجري بحثه الآن، وهي الحقيقة التي يهرب الجميع من استحقاقها، تارة باسم كلفة الحرب، وطوراً باسم عدم القدرة على مواجهة العالم. بناءً عليه، ما الذي يمكننا قوله لهذه الفئات الثلاث مجتمعة؟ وكيف لنا أن نشرح لها بأن الأمور لا تستوي على هذا النحو، وأنه لا يمكن لعاقل أن يقبل بأن تكون مهمة الجيش تنفيذ ما يريده العدو، فقط من أجل إرضاء المجتمع الدولي؟

وكيف يمكن أن نشرح لهؤلاء بأنه لا يمكن السماح لقوات دولية أو أطلسية أو أي نوع من القوى الأجنبية بالتصرف معنا وكأننا دولة تحت الاحتلال، وأنه لا يحق لأحد على وجه الأرض أن يفرض على قسم يمثّل بالتأكيد أكثر من نصف اللبنانيين، خيارات من هذا النوع؟

وما الذي يمكن أن نقوله لمن لا يزال يحدّثنا عن الشرعية الدولية والمحاكم الدولية ومنظمات حقوق الإنسان، وكأنه لا يرى ما يحصل في غزة منذ ١٤ شهراً، ولم يسمع مدّعي عام المحكمة الدولية يقول إن مسؤولاً أميركياً «شرح» له أن هذه المحاكم قامت لملاحقة خصوم الغرب في أفريقيا، لا لملاحقة أصدقاء أميركا في إسرائيل؟

وما الذي يمكن أن نقوله لمن لا يزال يرفض إدانة جرائم العدو في لبنان، بينما لا يتوقف عن شتم المقاومين وهم يحملون دماءهم على أكفّهم ويتصدّون لقوات العدو التي تنتهك سيادة لبنان؟ ولأن الأمور على هذا النحو من الوضوح، فإن انتظار نتائج المفاوضات الجارية، هو انتظار واقعي، وتوقف العدوان هو حق لنا، والمساعدة على التوصل إلى اتفاق يوقف آلة القتل واجبٌ علينا. لكن، ما هو حق لنا وواجب علينا، أن نقول، صراحة، إن إسرائيل تبقى هي العدو الذي يجب إزالته من الوجود، وإن فلسطين هي الأرض التي تخصّنا جميعاً، وإن شعبها هو المثال الصارخ على ظلم الأقوياء في هذا العالم، وإن شباناً يخرجون من بين الركام ليلتحموا بالحديد الإسرائيلي ويقولوا له لا بدمائهم، هم المثال الحقيقي على الشجاعة والحرية والكرامة والإنسانية. صحيح، نحن مختلفون على أساس الأمر. ولذلك، توجب الصراحة القول، بهدوء، إن نهاية هذه الجولة من الحرب مع العدو لا تعني نهاية رحلة المقاومة، وإن إعادة بناء عناصر القوة فيها، بشراً وقدرات وعقولاً وإمكانات، هي مهمة قائمة الآن، وستتعزّز لاحقاً وفي كل وقت.

التصعيد على جبهة أوكرانيا

بعد فشل الحزب الديمقراطي في الفوز بالرئاسة قرّر الرئيس جو بايدن المنتهية ولايته أن يسمح لأوكرانيا باستخدام الصواريخ الأميركية البعيدة المدى لاستهداف العمق الروسي، فكان ردّ الرئيس الروسي فلاديمير بوتين تعديل شروط استخدام القوة النووية رداً على أي تهديد وجودي للأمن الروسي.

موقف بايدن قبل أن يغادر الحكم ليس ناتجاً فقط عن المعطيات المتاحة حول حالة الضعف التي تصيب الجبهة الأوكرانية ومخاطر هزيمة وشيكة تلحق بالجيش الأوكراني، بل يجب ربط خطوة بايدن بالمواقف المعلنة للرئيس المنتخب دونالد ترامب التي تتعهد بإنهاء الحرب عبر التفاوض مع الرئيس بوتين على حل وسط.

بعد الإعلان الأميركي صدر إعلان فرنسي مشابه وإعلان بريطاني مشابه بينما ناشد الرئيس الأوكراني ألمانيا التي فتحت قناة التفاوض مع روسيا لتحذو حذوهما دون أن يحصل ذلك.

الواضح أن معركة مستقبل حلف الناتو، ومستقبل أوروبا، ومستقبل

العلاقة مع روسيا على الطاولة، بين نهج التفاوض ونهج المواجهة، وجماعة نهج التفاوض لا يحتاجون إلى وجود الناتو. وهنا يبدو ترامب وقد لقي بداية تأييد ألماني، بينما جماعة المواجهة هم جماعة الناتو الخائفون مما سيفعله ترامب بمستقبل الحلف.

الرئيس الروسي لن ينتظر وصول ترامب ولا يراهن على غير قوة روسيا، ولا يريد بناء العلاقة مع أي إدارة اميركية إلا على قاعدة التسليم بعناصر القوة الروسية وإقامة الحساب لما تمثله، فإن أراد ترامب التسوية فلتكن ثمرة القلق مما يترتّب على التصعيد.

شهران من عمر بايدن في البيت الأبيض كافيان لوضع العالم على فوهة بركان ومخاطر اندلاع حرب نووية، وروسيا لا تلعب عندما تفعّل بروتوكول استخدام السلاح النووي، ولا تنفع في ثنيها عن ذلك مناشدة تصدر عن شخص لا يجد احتراماً في موسكو هو الرئيس الفرنسي ايمانويل ماكرون.

تطوّرات المشهد في أوكرانيا قد تغيّر الكثير وتتحوّل إلى انفجار كبير فجأة، فمن جهة يائس مُنح حق استخدام سلاح خطير هو فلاديمير زيلينسكي، وقادر لا يقبل الاستفزاز هو الرئيس فلاديمير بوتين.

البناء